المقـدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، وبحمده نستعين على أداء رسالتنا القومية ، نحو المتطلعين إلى دراسة فن الزخرفة ، بتقديم هذا الكتاب الذى أضفى دعماً جديداً كانت تفتقر إليه مكتبتنا المصرية ، إيمانا منا فى إحياء تراثنا المجيد لهذا الفن العريق ، الذى تعددت مظاهره المثيرة فى معظم آثار أجدادنا الخالدة ، التى شهد العالم من خلالها ، مدى ما حققه الفنان المصرى مع فجر التاريخ من روائع فنية بلغت غاية فى الدقة والإبداع . ولاسيما فى تشكيل نقوشاته البارزة والغائرة على الأحجار الصلدة ، أو على الحلى الذهبية بأشغال المينا الدقيقة ، إلى غير ذلك مما أتقنه من نقوش جدارية ملونة ، لا زالت حتى الآن باقية وحافظة لرونقها ، مع ما مضى عليها من آلاف السنين .

هذا بالإضافة إلى ما وصلت إليه الزخرفة مع نشأة الحضارة الإسلامية من تقدم وازدهار ، بلغت كذلك حدود الكمال والإعجاب ، حتى شملت مظاهرها سائر الحرف والصناعات وقتذاك ، سواء فى تشكيلات الزخارف الهندسية المضلعة والنجمية التى اشتهرت بالأطباق العربية ، أو النباتية التجريدية فى ألوانها اللازردية والمذهبة على الجدران والأسقف وغيره ، أو فى أشغال الحفر والتطعيم بالأصداف ورقائق العاج والخرط الخشبى الدقيق ، إلى غير ذلك من أشغال المعادن الدقيقة ، والنقوش الخزفية ذات البريق المعدنى ، والزجاج الموشى بالمينا .

ومتاحفنا القومية غنية بالروائع الفنية من هذه المخلفات النادرة ، كما تعتز بعض متاحف العالم الكبرى بالقليل الذى تضمه منها ، مما يشهد للفنان والمزخرف المصرى ، فى عهود الفراعنة والعصور الإسلامية بالكثير من مختلف مظاهر الإبداع والاقتدار .

وقد تناولنا فى كتابنا هذا تحليل العديد من هذه التطبيقات الفريدة ، مع عرض لمختلف الأسس والأصول الزخرفية التقليدية فى أسلوب متطور ، وكذا دراسة أساليبها وكل ما يجب أن يلم به الدارس ، من مبادىء أولية ومعلومات فنية عن التكوين واللون ، وغيره من مختلف المهارات والقيم الجمالية .

كما آثرنا أن نضع للمبتدىء مخططاً متدرجاً يتفق مع مستوى قدراته وخصائص نموه ، وبخاصة ما تخيرناه له من الأمثلة والنماذج الزخرفية المبتكرة والمتجددة ، المستمدة من وحداتنا الإقليمية المنتشرة فى البيئة المصرية ، مع بعض التطبيقات التاريخية المدروسة من العصرين الفرعونى والإسلامى الوطيد الصلة بمقوماتنا .

ونأمل بجهدنا هذا أن نسهم فى النهوض بفن الزخرفة فى مصرنا الأم وغيره من سائر الأقطار العربية الشقيقة ، وأن يجد الدارس فى ذلك الكتاب المزيد من المعلومات السليمة المستوفاة ، والتطبيقات المفيدة الملائمة ، التى يمكن أن يحتذى بها ، وتحقق له كامل أهدافه .

ومما لا شك فيه أن هذه الدراسات التى نقدمها إذا ما لاقت إقبالا وانتشارا ، فى نشء قويم من جيلنا الصاعد وخاصة بين فئة الحرفيين وغيرهم من طلبة وطالبات المدارس الفنية والصناعية ، أمكن تحقيق المزيد من النمو فى ثقافتهم الفنية ، وهذا بالتالى سيتحول أثره إلى تطوير وابتكارات متجددة فى سائر المنتجات الحرفية القائمة بالبلاد .

كما يمكن أيضاً أن ينعكس هذا التحول التكنولوجى المدعم على مظاهر كل ما يقام من عمران . ومن البديهى أن هذه الدراسات إذا ما كانت مادتها مركزة ومستوفاة ، وصادرة من ذوى الخبرة ، على النحو الذى أعددناه ، فإن أثرها إن شاء الله سيكون مجديا وبالغ القوة فى النهوض بحضارة البلاد وازدهار منتجاتها ، والله ولى التوفيق والسداد وبه نستعين . ،،،

المؤلفـــان

حسين يوسف ،حسن حموده

تمهيد

الطبيعة والجمال :

لا شك فى أن الطبيعة بمختلف ألوانها ووحداتها ومشاهدها هى أروع صورة للذوق والجمال . ولذلك : لا يتمالك الإنسان عند مشاهدته لأى مظهر من مظاهرها إلا أن يشعر بارتياحه لما يراه ، معترفا بما حوته هذه الطبيعة من إعجاز فى التكوين ، وروعة فى الألوان ، وكمال فى الصنعة ، وغير ذلك مما يبهر الأبصار ، ويأخذ بمجامع القلوب .

ولا عجب أن يقف الإنسان من مختلف مشاهد الطبيعة موقف الذهول ، والتسليم بما حوته من جمال وجلال ، فإنها من صنع الله تعالى ، الذى أحسن كل شىء خلقه ، ﴿ **الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير** ﴾ [الملك : ٣ : ٤]

لذلك كان من الطبيعى وظروف المدنية وتطورها ، تضطر الناس فى كثير من الأحيان إلى الانهماك فى مشاكل الحياة ومشاغلها والانصراف عن التمتع بجمال الطبيعة وروعتها أن يفكر الناس فى سبيل يعوضهم عما فقدوه منها ، ويشبع نزعتهم إلى التمتع بها ومن هنا تفتقت الحاجة إلى الفنون الجميلة : من رسم وتصوير ونحت وزخرفة كمحاولة للتعبير عن الانفعالات التى تجيش فى أعماق الإنسان بتأثير الإعجاز الخارق الذى يلمسه فى الطبيعة ، ووسيلة إلى تركيز ذلكم الإعجاز اللانهائى فى حدود يمكنه أن يحصر فيها أوفر قدر من جمال الطبيعة وروعتها ، حتى يستطيع الإنسان أن يمتع نفسه بالنظر إليها . وإشباع

حاجته منها ، حينما تحجبه عنها ظروف الحياة ، داخل الأماكن التى يعيش فيها ، أو يعمل بها .

اختلاف التأثيرات الطبيعية :

وكنتيجة لما تقدم : اتجه الإنسان إلى الطبيعة ، متأملًا فى جمالها وروعتها ، مستكشفاً ظواهرها وأصولها ، لينقل عنها أسباب جاذبيتها وانسجام مشاهدها ، أو يقتبس منها الأسس التى قامت عليها ، مستنبطا من أصولها التشكيلات المختلفة لإبراز جمالها ، بما فيها من وحدات وأوضاع وألوان .

وكنتيجة لما تقدم : استطاع الإنسان بتأمله فى الطبيعة ، ودراسته لمشاهدها ، أن يدرك بوضوح مقدار باق هذه المشاهد من اختلاف كبير فى التأثير ، وتباين فى النظم والتخطيط .

فالسماء بنجومها المتناثرة ، مغطى بتأثير لنقط ساطعة وسط فضاء قاتم لا نهاية له .

والحدائق بزهورها الجميلة تعطى تأثيرا لبقع مختلفة الألوان ، قد تناثرت فوق بساط أخضر .

والجبال بقممها الشامخة ، المتباينة فى ارتفاعاتها ، ترسم فى الأفق خطوطاً مائلة أو منكسرة .

والأنهار بمياهها الجارية ترسم على صفحاتها خطوطاً موجة ويمكن مشاهدة مثل هذه الخطوط فى رمال الصحارى ، وبعض حيواناتها .

والبحار بأمواجها المتلاطمة ، تقدم أحيانا تأثير الخطوط المتعرجة ، وأحيانا أخرى الخطوط المنكسرة .

والنخيل بارتفاعاته الشاهقة يعطى تأثير الخطوط الرأسية .

وهكذا الشأن فى الأعشاب والنباتات ، وفى الحيوانات والطيور ، وفى غير

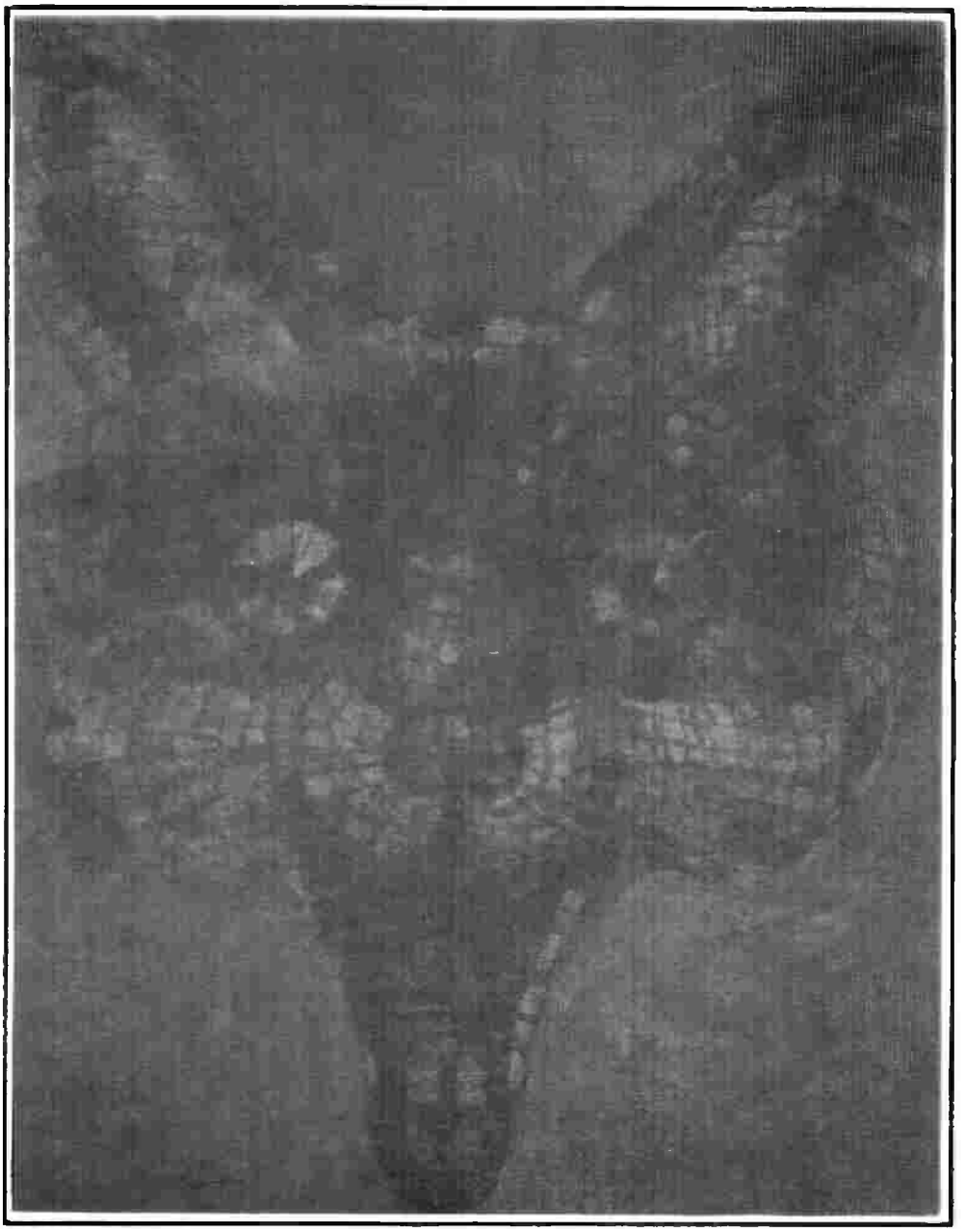

مثال بالموازيكو لرأس ذئب متماثل فى أوضاع تفاصيلها الطبيعية أى تتكون من شطرين متقابلين وهو يوضح أحد أقسام النظم الهامة المختلفة التى تحويها المشاهد الطبيعية .

ذلك من الوحدات ، فإن كلا منها يعطى تأثيرا خاصا يختلف عن تأثير الآخر .

اختلاف أوضاع الوحدات الطبيعية :

فإذا بدأنا التأمل فيما تحويه المشاهد الطبيعية من وحدات ، وجدنا أنها تنقسم : بالنسبة لأوضاعها إلى نظم مختلفة وأنواع متعددة .

فهناك وحدات متماثلة ، أى تتكون من شطرين متقابلين ، كالإنسان والطيور ، والحيوان ، وبعض أوراق الأشجار والأزهار وغيره .

وهناك وحدات متوازنة ، كالحيوانات والأعشاب والأشجار .

وهناك وحدات متشعبة ، تنبثق أجزاؤها من نقطة واحدة ، أو من خط واحد كالزهور والأغصان .

وهناك وحدات متبادلة ، فى أنواعها أو ألوانها ، أو فى أوضاعها واتجاهاتها .

وهناك وحدات أفقية وأخرى رأسية ، وثالثة مائلة .

وهناك وحدات بسيطة وأخرى مركبة كما أن هناك وحدات متناثرة ووحدات مجمعة .

وهناك وحدات متكررة ، فى أوضاع مختلفة ونظم شتى .

وتشمل هذه الوحدات والمشاهد تأثيرات لونية متباينة ، يتميز بعضها بألوان حارة والبعض الآخر بألوان باردة ، وبين هذه وتلك ألوان متوافقة ، وهناك تأثيرات لونية فاتحة وتأثيرات لونية قاتمة وبينهما درجات لونية لاعدد لها .

تفهم القوانين الطبيعية والمبادىء التى تقوم عليها :

وبمرور القرون ، وتطور العصور ، واستمرار المحاولات فى التعبير عن جمال الطبيعة ، ودراسة مشاهدها ووحداتها ، أمكن الوصول إلى تحديد

مثال لإحدى التصميمات الإعلانية الناجحة المقتبسة من الطبيعة باعتبار أنها المصدر الأول للأوضاع الجمالية السليمة فى ذوقها وتكوينها وألوانها .

القوانين المختلفة التى تقوم عليها الطبيعة ، والتى يجب الرجوع إليها ، والاعتماد عليها فى وضع التصميمات الفنية لمختلف الأغراض التطبيقية ، باعتبار أن الطبيعة هى المصدر الأول للأوضاع الجمالية السليمة فى ذوقها ، القوية فى تكوينها ، المتناسقة فى أوضاعها وألوانها .

ومن هنا اتجه الفكر إلى إعداد علم أسس التصميم أو قواعد الزخرفة ، لتوجيه الدارسين ، وهذا العلم يقوم على تفهم القوانين الطبيعية المختلفة ، لاستنباط ما فيها من أوضاع ونظم ليبنى عليها الدارس تصميماته الفنية على أساس صحيح ، كما تقرر الآن جعله مادة فنية عامة تدرس فى المدارس الصناعية والفنية .

هذا العلم فى جملته يتكون من تنظيمات مختلفة ، مستمدة أصولها كما ذكرنا من الطبيعة ، دون التقيد بها ، لأن مجالات الابتكار والتنفيذ المتصلة بهذا العلم ، تختلف عن غيرها من مجالات الفنون الأخرى ، فإنها محكومة بقيود عديدة ، منها ما يتصل بالخامات المستعملة ، ومنها ما يتصل بالمكان ومنها ما يتصل بالضوء وغير ذلك من الاعتبارات التطبيقية المختلفة .

أهداف علم أصول التصميم :

١ ــ دراسة مبادىء وأساليب مختلف النظم الزخرفية المعروفة على أسس سليمة .

٢ ــ تنمية الذوق السليم والإحساس بالقيم الجمالية الشكلية واللونية .

٣ ــ اكتساب بعض المهارات والأساليب التطبيقية المتعلقة بالتكوينات الزخرفية والاستفادة منها فى الصناعة بتزيين مختلف المنتجات ، لتجمع بين الناحيتين النفعية والجمالية .

٤ ــ الإعداد للقدرة على التكوين الزخرفى الصحيح وتنمية النشاط الابتكارى .

ويهدف علم أصول التصميم أيضا ، إلى إعداد الطالب إعدادا فنيا متكاملا ، على أسس فنية سليمة ، وذلك بما يأتى :

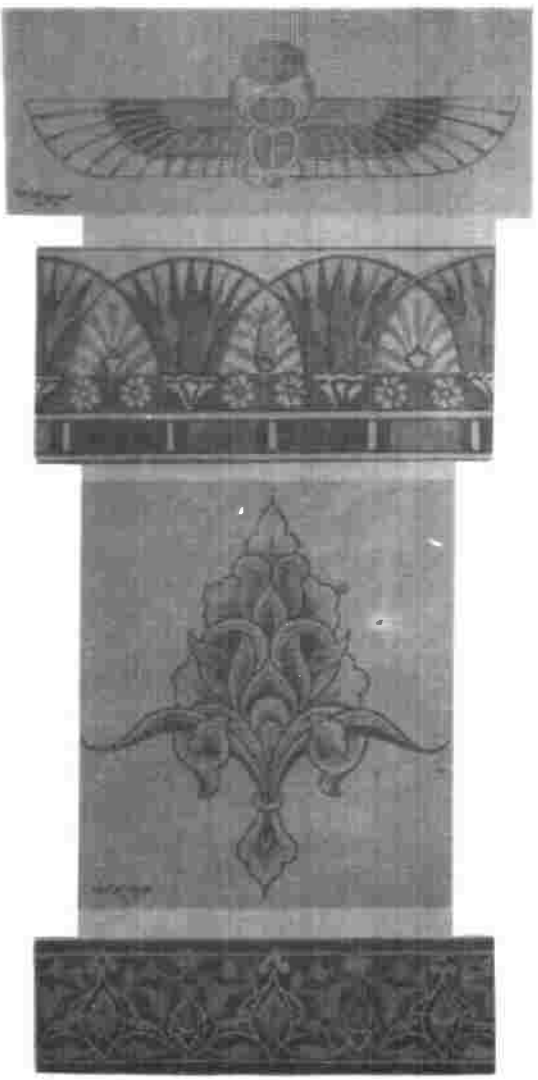

بعض أمثلة مختارة لتطبيقات زخرفية من الفن المصرى القديم
والإسلامى الغنية بالألوان الطبيعية الجذابة الفياضة بالحياة .

أولًا : تدريب الطالب على دراسة العناصر الطبيعية المختلفة ، وتفهم أوضاعها وكيفية تحريرها التحرير المناسب للتشكيل الفنى المطلوب .

ثانياً : تدريب الطالب على الإحساس بالأوضاع الفنية السليمة ، وصلتها بالعناصر التى تتكون منها ، من خطوط ووحدات ، وألوان .

ثالثاً : تمكين الطالب من تفهم التصميمات الفنية التى يقع نظره عليها ، أو يعهد إليه بتنفيذها .

رابعاً : تدريب الطالب على اختيار الرسومات والتصميمات الملائمة للأغراض التطبيقية المختلفة ، وما يتصل بها من الخامات والأمكنة .

خامساً : توجيه الطالب إلى تفهم الأسباب والعوامل التى تساعد على سلامة عمله الفنى ، والسمو به .

نحو طراز قومى حديث :

وفى دراساتنا للوصول إلى تحقيق الأهداف سالفة الذكر ، يجب أن نحرص دائماً على الربط بين هذه الدراسات وبين تاريخنا الفنى العظيم ، الذى يتمثل فى الطرازين المصرى القديم والإسلامى ، وذلك بإبراز الأمثلة المختارة من التصميمات المناسبة لمختلف الأسس والقواعد ، لأن كلا الطرازين يمثل حضارة عريقة ، ومدنية زاخرة ، لهما قدمها الراسخ فى مختلف أنواع الفنون ، ولها آثارها الخالدة من المنتجات الفنية المتصلة بشتى ميادين الحياة ، وبذلك نحتفظ بشخصيتنا الفنية من أن تعصف بها التيارات الأجنبية التى مهما يكن من قيمتها الفنية ، فإنها غريبة عنا ، وعن البيئة التى نعيش فيها ، والتى يجب أن نعتمد عليها ، وأن نستمد من عناصرها ما نحتاج إليه فى وضع التصميمات الفنية لشتى الأغراض التطبيقية وخاصة أن هذه البيئة غنية بعناصرها الفريدة فى ألوانها وأنواعها ، زاخرة بالمشاهد الرائعة ، والتأثيرات الطبيعية الفياضة بالحياة .

ولا شك أننا لو واصلنا الطريق فى هذا السبيل ، فسنصل فى النهاية إلى إيجاد الطراز الفنى الحديث ، الذى يتلاقى فى أصوله مع طرزنا القومية القديمة ،

وإن اختلف عنها فى طريقة الأداء والتعبير ، بما يساير التطور ، ويتفق مع روح العصر ومقتضيات الحياة .

ومن ناحية أخرى : فإن الاتجاه بالطالب إلى دراسة الوحدات الطبيعية ، يعوده تلقائيا إلى التأمل فيما أبدعه الخالق فى ملكوته من جمال وإعجاز ، وبذلك تكون هذه الدراسة لو وجهت توجيها صحيحا من أقوى عوامل الإيمان بالله ، الذى هو مصدر كل فضيلة ، ومبعث كل قوة ، فإذا تأكد ذلكم الإيمان فى نفس الدارس ، كان له أعمق الأثر فى حياته ، وكان من أقوى الدوافع به إلى الإخلاص فى أداء الواجب ، والتفانى فى الدفاع عن الحق ، والتضحية فى سبيل الله والوطن .

ولا عجب فلقد كانت الفنون فى نشأتها ، تهدف إلى خدمة العقيدة الدينية ، وتعمل على بث الفضائل ، والسمو بالآداب والأخلاق .

والتأمل فى صنع الله وقدرته ، مما حث عليه رب العالمين فى محكم كتابه إذ يقول : ﴿ **إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض . ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار** ﴾ [آل عمران : ١٩٠ : ١٩١]

والله الموفق إلى سواء السبيل ..

الزخرفة وأثرها فى رواج المنتجات والمشغولات :

من الواضح أن الزخرفة تعتبر من أهم الفنون التشكيلية وأعظمها أثراً فى إكساب معظم المنتجات الحرفية وغيرها من مختلف الصناعات ، قيماً جمالية جذابة إلى جانب أهدافها النفعية .

وفى عصرنا الحديث أخذ التشكيل الزخرفى يستعيد مكانته القديمة بإحياء وتطوير الكثير من منتجات الحرف الفنية الموحية بسحر الشرق ، والمعبرة عن

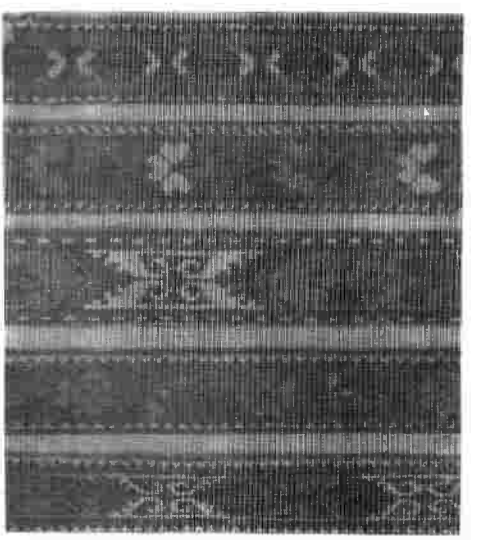

بعض نماذج من التطبيقات الخزفية والنسجية التى توضح
أثر الزخرفة فى رواج هذه المنتجات .

قوميتنا ، مما ساعد على تنشيط واتساع صادراتنا الخارجية منها ، حتى لاقت رواجاً وشهرة كبيرة فى معظم الأسواق العالمية ، واستعاد سوق خان الخليلى مكانته بين الوافدين من مختلف الأوساط السياحية .

كما كشفت الجهود الفنية الجديدة عن مهارات تقدمية عديدة ، تميزت بإحياء تكوينات إقليمية من الفن الشعبى والفرعونى والإسلامى فى تطبيقات سياحية مبتكرة ، ساعدت على تطوير الكثير من الحرف البيئية المعروفة ، ولاسيما فى أشغال الحلى والمعادن الدقيقة وسائر المشغولات الجلدية والخزفية والخشبية المطعمة بالأصداف والعاج ، وغيرها من صناعاتنا النسجية التى ارتقت بنقوشاتها إلى أسمى درجات الخلق والإبداع فى التكوين الزخرفى والتأثير اللونى ، فى مستوى أرقى المنتجات العالمية ، مما ساعد على تنمية دخلنا من العملة الصعبة .